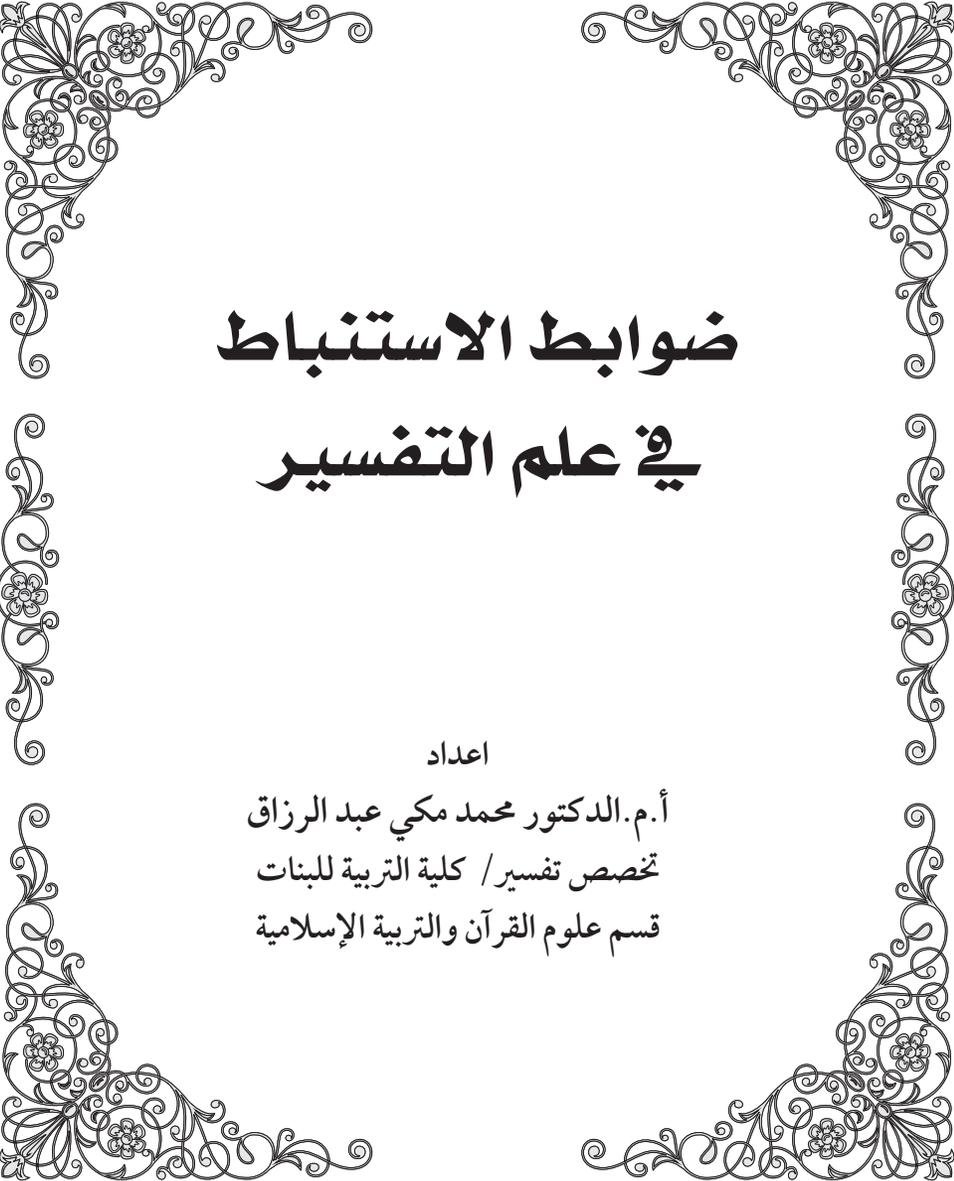


A decorative border composed of intricate black line art. It features symmetrical floral motifs, including roses and smaller blossoms, intertwined with elegant, swirling vine patterns. The border is rectangular and frames the central text.

**البحوث المحكّمة  
في اللغة العربية**



# ضوابط الاستنباط في علم التفسير

اعداد

أ.م. الدكتور محمد مكّي عبد الرزاق  
تخصص تفسير / كلية التربية للبنات  
قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

### ملخص البحث باللغة العربية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين، وبعد:  
فإن المعاني المستنبطة من الألفاظ أكثر من معانيها المباشرة، بل إن من احكام الحوادث ما لا يعرف بالنص، وإنما بالاستنباط، وكم من سر وحكم نهت عليها الإشارة ولم تبينها العبارة.  
والاستنباط للمعاني من الآيات قدر زائد على مجرى أدارك المعنى الظاهر، ومن ثم عز وجوده، وصعب أدراكه، ولا يؤتاه كل احد، بل هو من موهبة الله تعالى التي ينعم بها على من شاء من عباده، ولا يصح الاستنباط من القرآن الا على معنى صحيح ثابت اللفظ، فاللفظ بمنزلة الاساس والاستنباط بمنزلة البيان، ولا يمكن الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر.  
الاستنباط علم مفيد وحجة في الشرع دلت على اعتباره وتقديمه جملة من أدلة الكتاب والسنة، وضوابطه مبسوثة ومتناثرة في كتب التفسير وعلوم القرآن.  
من أجل ذلك كان بحثي الموسوم «ضوابط الاستنباط في علم التفسير» يستهدف تجلية هذا العلم من علوم القرآن الكريم، وإعلاء معالمه؛ ليهتدي بها طلاب علم التفسير وقاصدوه. وقد كتب علماء التفسير في هذا المجال إلا أن كتابتهم خالية من حديث مباشر جامع لأشتات هذا الموضوع ومجزئاته تحت نظام واحد.

## Abstract

Praise be to Allah and peace and blessings be upon our Prophet Muhammad, and his family and companions to the Day of Judgment, and after:

The meanings of words derived from more direct sense, but that the provisions of incidents does not know what the text, but Balastenbat, how much of the mystery and the rule alerted by the signal did not identified the ferry.

And deduction of the meanings of the verses as a plus to just grasp the apparent meaning, and then Izz quality, difficult to perceive, nor Aatah each one; it is the gift of God Almighty, which smooths out the wills of His slaves, is not valid deduction from the Koran, but the true meaning of fixed pronunciation, Vallfez is like the foundation and deduction is like a statement, and can be accessed by the provisions of sub-apparent.

Eduction science and useful argument in Shara indicated considered and submitted a number of Quran and Sunnah evidence, and controls Mbthoth and scattered in the books of the Koran interpretation and Sciences.

For this research was marked «controls deduction in the science of interpretation» is aimed shed light on this science from the Koran sciences, and uphold its features; to be guided by science and interpretation Qasdoh students. Explanation scientists have written in this area, but the writing free of direct talk collector sundries this subject and Mdziath under one system.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد (وعلى آله وصحبه) تسليماً كثيراً إلى يوم الدين وبعد:

فهذا بحث بعنوان (ضوابط الاستنباط في علم التفسير) يكشف عن جوانب من علم جليل من علوم القرآن الكريم، تأتي مرتبه بعد معرفة ألفاظ القرآن الظاهرة، ومعانيه المباشرة، ويختص بمعاني المعاني، وما وراء الألفاظ من المعاني المتصلة بالآية من غير لفظها المتبادر ومعناها المباشر.

فان الناظر في موضوعات كتب التفسير يجدها قائمة على ثلاثة أنحاء:

- بيان الألفاظ والمعاني، وهذا أصله التفسير وحده.

- وبيان معاني المعاني.

- ومجال الاستنباط ولا يخرج حديث ما مفسر عن هذه الأنحاء.

وقد أهتم العلماء كثيراً ببيان تحرير الجانب الأول من هذه الموضوعات:

ألفاظ القرآن ومفرداته، فظهرت كتب غريب القرآن وإعراب القرآن ومتشابه الألفاظ والوجوه والنظائر، ونحوها مما تناول الألفاظ القرآنية المفردة، كما ظهر اهتمام العلماء بجانب المعاني في كتب معاني القرآن، ومشكلات القرآن ومتشابه المعاني وأحكام القرآن ومبهمات القرآن وغيرها من الكتب القائمة على معاني الآيات وأساليبها درساً وإيضاحاً.

أما جانب معاني المعاني أو معنى المعنى إنها هي معان ثانوية تؤخذ من أساليب اللغة ومدلولاتها، كما اهتم بها (علم المعاني) في البلاغة أو ما يسمى (بمعاني النحو).

ومع قيام عدد من كتب العلماء على الاستنباط جمعاً وتطبيقاً إلا أنها تكاد تكون خالية من حديث مباشر عن هذا العلم يرتقي به إلى يكون من علوم القرآن الظاهرة المشهورة ذات القواعد الثابتة الجامعة لأشتات افرادها وجزئياتها تحت نظام واحد.

وباب الاستنباط مبني على زكاء نفس وقوة نظر وجودة واضحة وصحة فهم وحسن بيان لذلك نجد أن القرون الثلاثة الأولى المفضلة في كل علم وخير وهدى، كان بيانه أحسن بيان وجاء استنباطهم أدق استنباط وأطفه ولا غرو، فهم خيار الامة وأفضلها.



وان تميز السلف في تناول هذا الموضوع الدقيق من البيان ليزر حرصهم على إعطاء الآيات حقها من المعاني واستيعاب كل حق أشار إليه لفظ الآية، ودل على معناه وذلك هو علم الاستنباط. ويتلخص الهدف المرجو من دراسة هذا الموضوع في تجلية هذا العلم من علوم القرآن الكريم وإعلاء معالم يهتدي بها طلاب علم التفسير وقاصدوه، وقد قسمت هذا البحث إلى مطالب وكما يأتي:

المطلب الأول: الاستنباط لغة واصطلاحاً وفيه تعريف للاستنباط في المعنى اللغوي والاصطلاحي.

المطلب الثاني: مكانة علم الاستنباط من علم التفسير.

المطلب الثالث: تحديد شروط الاستنباط.

المطلب الرابع: المنهج المتبع لبلوغ درجة الاستنباط.

المطلب الخامس: أنواع الاستنباط من النصوص القرآنية.

المطلب السادس: الاستنباط في كتب التفسير.

المطلب السابع: نماذج تطبيقية للاستنباط.

المطلب الثامن: أثر الاستنباط في علم التفسير.

ثم الخاتمة وذكرت فيها الهدف الحالي من دراسة (مكانة علم الاستنباط) نظرياً وتطبيقاً في فهم علوم القرآن الكريم وأعلاء معالمه، وبما يسمح تبسيط هذا العلم للطلاب في علم التفسير ومقاصده المختلفة، وذكرت بعض التوصيات الهادفة، ثم قائمة المصادر والمراجع. والله أسأل أن يجعل عملنا هذا في خدمة كتابه الكريم وما كان من زلل فنرجو الله العفو والسداد.

الباحث

## المطلب الأول معنى الاستنباط لغة واصطلاحاً

علم الاستنباط هو علم معتبر، يضيف على الأمة في كل زمان بكل ما تحتاجه من معرفة الحق المطابق لوقائعها والمستمد من خير بيان وصدق كلام كتاب الله تعالى.

الاستنباط لغة: الاستنباط مصدر نبط والنون والباء والطاء في لغة العرب كلمة تدل على استخراج الشيء والانتهاه إليه<sup>(١)</sup>.

واستنبط الفقيه: إذا استخرج الفقه الباطن باجتهاده وفهمه<sup>(٢)</sup>.

وقال الزجاج: معنى يستنبطونه في اللغة: يستخرجونه<sup>(٣)</sup>.

وكل من اخرج شيئاً كان مستتراً عن أبصار العيون أو عن معارف القلوب: فهو مستنبط له، ويقال استنبطت الركية إذا استخرجت ماءها<sup>(٤)</sup>.

الاستنباط اصطلاحاً: الاستنباط قدرة زائدة على مجرد إدراك المعنى الظاهر، ومن ثم عز وجوده، وصعب إدراكه، ولا يؤتاها كل أحد<sup>(٥)</sup>.

وقد امتن الله تعالى به على المؤمنين وعصمهم به من إتباع غير الحق فقال تعالى ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾<sup>(٦)</sup>.

وقال البغوي: من العلم ما يدرك بالتلاوة والرواية وهو النص، ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس على المعاني المودعة في النصوص<sup>(٧)</sup>.

وقال ابن القيم: الاستنباط استخراج الأمر الذي من شأنه ان يخفى على غير مستنبط

(١) ينظر: العين للخليل بن احمد ٤ / ١٨٤، و معجم ومقاييس اللغة لأبن فارس ٢ / ٥٣٧.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ١٣ / ٢٥٠.

(٣) معاني القرآن واعرابه للزجاج ٢ / ٨٣.

(٤) الركية هي: البئر، ينظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي / ١١٦١.

(٥) معالم الاستنباط في علم التفسير، نايف بن سعد الزهراني / ٦.

(٦) سورة النساء / ٨٣.

(٧) تفسير البغوي / معالم التنزيل ٢ / ٢٥٥.



اما الاستنباط في استعمال المفسرين فهو: استخراج ما وراء ظواهر معاني الألفاظ من الآيات القرآنية<sup>(١)</sup>.

والمراد بظواهر معاني الألفاظ: ما يتوقفه فهم القرآن عليها من المعاني المباشرة، دلالة مفهوم أو غيرها وقد وضع العلماء له في كتب الأصول مباحث لدلالة الألفاظ على المعاني وطرقه معروفة<sup>(٢)</sup>. وكل كلام ربط بمعنى الآية فانه من هذا الباب، لأن الذي يقول به يرى أن الآية دلت عليه بأي نوع من أنواع الدلالة.

وقد يكون استنباط حكم فقهي أو يكون استنباط أدب تشريعي عام أو يكون استنباط أدب أخلاقي في معاملة الناس أو يكون استنباط فوائد تربوية تتعلق بتزكية النفوس أو يكون استنباط فائدة علمية<sup>(٣)</sup>.

## المطلب الثاني

### مكانة علم الاستنباط من علم التفسير:

يتفق علم الاستنباط مع التفسير في أنها بيان للمعنى، ثم يفترقان في المعنى المبين في كل منهما، فللتفسير المعنى الظاهر المباشر اللازم للفظ وللإستنباط ما وراءه من المعاني الزائدة وكلاهما من أجل علوم القرآن الكريم والصقها بألفاظه<sup>(٤)</sup>.

وسمى الله تعالى الاستنباط علماً، فقال سبحانه ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(٥)</sup>.

ولولا ان علم الاستنباط علم معتبر، وحجة في الشرع لما أمر الله تعالى عباده برد ما لم يدركوا

(١) أعلام الموقعين ابن القيم ١ / ٤٩٧

(٢) مفهوم التفسير و الاستنباط \_ مساعد الطيار - ٨٤.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) معالم الاستنباط في علم التفسير ٣ - ٤.

(٥) سورة النساء / ٨٣.

علمه نصّاً إلى من يدركونه بالاستنباط من أهل العلم<sup>(١)</sup>.  
فالاستنباط من أهم أسباب أدراك العلوم وله من الأصول والضوابط التي تجمع جزئياته،  
وتلم متفرقاته ما يجدر معه بأهل العلم إبرازها وتحديدها بعد جمعها ودراستها.  
واما علم التفسير فقد وصفه ابن عاشور بأنه (تفسير ألفاظ واستنباط معاني)<sup>(٢)</sup>.  
وقال: (موضوع التفسير: ألفاظ القرآن من حيث البحث عن معانيه وما يستنبط منه)<sup>(٣)</sup>.  
فالاستنباط بهذه المثالية قسيم لبيان المعاني، وذلك بالنظر إلى جمهرة معلومات كتب التفسير التي  
يذكرها المفسر، وإلا فإن الاستنباط من علوم الآية التي تأتي بعد تمام التفسير - الذي هو بيان المعنى  
ولكن لشدة ارتباط هذا العلم بعلم التفسير نظرياً وتطبيقاً، ولكثرة ما أثير في كتب التفسير، الحق  
به في بيان علم التفسير وموضوعاته، وربما توسع بعض العلماء فسماه تفسير كما فعل ابن القيم في  
تقسيمه لما يذكره الناس من التفسير في كتابه (التبيان في أقسام القرآن)<sup>(٤)</sup>.  
ومثله عبارة الطاهر ابن عاشور (رحمه الله تعالى) هذه في وصف علم التفسير، وبنحو هذا  
التصرف في مصطلح الاستنباط عند بعض المفسرين تصرّف جمهرة من الأصوليين فتناولوا هذا  
العلم محصوراً في طرق مباحث العلة فيه على الخصوص<sup>(٥)</sup>.  
وذلك حين يرتقي هذا المعنى المستنبط الباطن في شدة قربه وظهوره من المعنى الظاهر، وربما  
أريد معه فهنا يتوجه تسميته تفسيراً لارتباطه بمعنى الآية من هذا الجانب.  
وقد كان الحال كذلك منذ أول نشأة علم التفسير وظهوره ولا تكاد تخرج تفاسير السلف عن  
هذين الوجهين في الأعم الأغلب.  
ويجب إعطاء ألفاظ القرآن حقها ما لها من المعاني وحسن الاستنباط وصحته سبيل إلى ذلك.

- 
- (١) ينظر: أحكام القرآن للجصاص ٢/ ٢٧٠ - والتفسير الكبير للرازي ١٠/ ١٥٩.  
(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ١/ ١٢ وسبقه ابن العربي الى قريب من ذلك في (قانون التأويل) ١ / ٣٦٧.  
(٣) التحرير والتنوير ١/ ١٢ - وينظر معالم التنزيل - البغوي ٢/ ٢٥٥.  
(٤) التبيان في اقسام القرآن لابن القيم / ٨٤.  
(٥) ينظر: اصول السرخسي ١/ ٢٤١ و٢/ ١٤٠ - والبحر المحيط ٤/ ٩.



قال ابن القيم: (الواجب فيها علق عليه الشارع، وميز الأحكام من الألفاظ والمعاني ان لا يتجاوز بألفاظها ومعانيها ولا يقصد بها ويعطي اللفظ حقه والمعنى حقه وقد مدح الله تعالى أهل الاستنباط في كتابه واخبر أنهم أهل العلم)<sup>(١)</sup>.

والمعاني المأخوذة بالاستنباط بطبيعتها أكثر وأعنى من معاني الألفاظ المباشرة، بل ان من أحكام الحوادث ما لا يعرف بالنص وإنما بالاستنباط وكم من سرٍّ وحكمٍ نبهت عليهما الإشارة، ولم تبينها العبارة<sup>(٢)</sup>.

وقال السهيلي: (ليس كل حكم يؤخذ من اللفظ، بل أكثرها تؤخذ من جهة المعاني والاستنباط من النصوص)<sup>(٣)</sup>.

إذ الألفاظ محصورة ومعانيها محددة، والوقائع والمناسبات متجددة، وقد انزل الله تعالى كتابه الكريم صالحاً لكل زمان ومكان، وتبيناً لكل شيء يتوقف عليه التكليف والتعبد وتستقيم به حياة الناس، من العلوم الشرعية والحقائق العقلية<sup>(٤)</sup>.

وقد أبان عن هذا ابن عاشور في حديثه عن المقصد الأول من مقاصد القرآن الكريم: (كونه شريعة دائمة، وذلك يقتضي فتح أبواب عباراته لمختلف استنباط المستنبطين، لتؤخذ منه أحكام الأولين والآخرين)<sup>(٥)</sup>.

فالاستنباط على ما سبق تعريفه من اشد علوم القرآن ارتباطاً بعلم التفسير، ولا يتوصل إليه الا بعد بناء التفسير وتمامه، وقد قسم ابن القيم التفسير إلى ثلاثة أقسام فقال: وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول:

١- تفسير على اللفظ، وهو الذي ينحو إليه المتأخرون.

(١) ينظر أعلام الموقعين ١/٣٩٧ - والاتقان في علوم القرآن ٢/٣٦٨.

(٢) ينظر: التفسير الكبير - الرازي ١٠/١٥٩ - والموافقات للشاطبي ٤/٢٠٢ - وروح المعاني للآلوسي ٤٨٩/٦.

(٣) كتاب الفرائض وشرح آيات الوصية للسهيلي / ٧٧.

(٤) ينظر: قانون التأويل - السيوطي - ١٩٦ - والموافقات ٢/١٢٧ - ١٣١.

(٥) التحرير والتنوير ٣/١٥٨.

٢- وتفسير على المعنى، وهو الذي يذكره السلف.

٣- وتفسير على الإشارة والقياس، وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم<sup>(١)</sup>. وذكر ابن عاشور قريب منه في حديثه عن طرائق المفسرين في المقدمة الرابعة لتفسيره التحرير والتنوير<sup>(٢)</sup>.

والقسم الثالث من هذه الأقسام داخلٌ في علم الاستنباط من معاني الآيات إذ ليس هو بتفسير على اللفظ ولا على المعنى، فانها ظاهران مباشران، ويبقى الاجتهاد والتأمل في هذا القسم، والاستنباط اعم من القياس، وإنما القياس أحد صوره وأشهرها<sup>(٣)</sup>.

وعدّ هذا القسم من التفسير نوعٌ توسع فيه ابن القيم وهو يصف حال تفاسير الناس ولا يؤصل لأقسام علم التفسير، فلا إشكال في تقسيمه وتوسعه في الإطلاق.

وقال ابن تيمية عن هذا الوجه من التفسير (أما أرباب الإشارات الذين يثبتون ما دلّ اللفظ عليه، ويجعلون المعنى المشار إليه مفهوماً من جهة القياس والاعتبار، فحالم كحال الفقهاء العالمين بالقياس والاعتبار، وهذا حقٌ إذا كان قياساً صحيحاً لا فاسداً، واعتباراً مستقيماً لا منحرفاً)<sup>(٤)</sup>.

وقال في طرق دلالة اللفظ على المعنى الصحيح (القسم الثاني: ان يُجعل ذلك من باب الاعتبار والقياس، لا من باب دلالة اللفظ فهذا من نوع القياس، فالذي تسميه الفقهاء قياساً، هو الذي تسميه الصوفية إشارة، وهذا ينقسم إلى صحيح وباطل، كأنقسام القياس إلى ذلك)<sup>(٥)</sup>.

فالإشارات من باب الاعتبار والقياس، واختص بها في الغالب أرباب السلوك وتزكية النفوس ومنها صحيحٌ مستقيمٌ وفسادٌ منحرف<sup>(٦)</sup>.

(١) التبيان في اقسام القرآن / ٨٤ - وينظر: مدارج السالكين ٣/ ٢٧٣.

(٢) التحرير والتنوير ١/ ٤٢.

(٣) ينظر: قانون التأويل لابن العربي / ٢٢٣ - ومذكرة اصول الفقه - محمد امين الشنقيطي - ٢٢٥.

(٤) مجموع الفتاوى - ابن تيمية - ٢/ ٢٨ و ٦/ ٣٧٧.

(٥) مجموع الفتاوى - ابن تيمية - ١٣/ ٣٤١ - وينظر: قانون التأويل لابن العربي ١٩١-١٩٦.

(٦) معالم الاستنباط في علم التفسير - نايف بن سعيد الزهراني - ١٠-١١.



## المطلب الثالث

### شروط وضوابط الاستنباط

لصحة الاستنباط شروط تعرض لها عدد من الأئمة كابن تيمية وابن القيم والشاطبي (رحمهم الله تعالى جميعاً) في مقامات وعبارات متشابهة، وهي تتطابق مع شروط التفسير على الإشارة والقياس التي ذكرها ابن القيم حيث قال: وهذا أي التفسير على الإشارة والقياس لا بأس به بأربعة شرائط: ١- ان لا يناقض معنى الآية.

٢- وان يكون معنى صحيحاً في نفسه.

٣- وان يكون في اللفظ إشعار به.

٤- وان يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم.

فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطاً حسناً<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام الشاطبي (رحمه الله تعالى): كون الباطن هو المراد من الخطاب يشترط فيه شرطان:

أحدهما: ان يصح على مقتضى الظاهر المقدر في لسان العرب، ويجري على المقاصد العربية.

والثاني: ان يكون له شاهد نصاً أو ظاهراً في محل آخر يشهد لصحته من غير معارض<sup>(٢)</sup>.

وهذان الشرطان يلتقيان مع الشرط الثاني والثالث عند ابن القيم. وبهذا تكون شروط الاستنباط

على هذا البيان:

أولاً: ان لا يناقض المعنى المستنبط معنى الآية لأنه تابع لها، مبني عليها، فإذا عاد على معنى

الآية بالنقض لم يعد استنباطاً منها، وانقطعت صلته بها، قال ابن القيم: (والمقصود بالأقيسة

والاستنباطات فهم المنقول لا تخطئته)<sup>(٣)</sup>؛ لأنها كالشواهد على المعاني ولا يصح أن يأتي الشاهد

بتجريح ولا تكذيب<sup>(٤)</sup>.

(١) التبيان في اقسام القرآن / ٨٤ - وينظر: مدارج السالكين لابن القيم ٣ / ٢٤٨ - والوابل الصيب - لابن

القيم - ١٧٩.

(٢) الموافقات للشاطبي ٤ / ٢٣١ - ٢٣٢.

(٣) بدائع الفوائد - لأبن القيم - ٤ / ٩٨٥.

(٤) ينظر: قانون التأويل - ابن العربي - ٣٥١ والبحر المحيط في الأصول للزركشي ٢ / ٥٠٩.

ثانياً: وان يكون معنى صحيحاً في نفسه، وهذا شرط لقبوله، وما ليس كذلك لا يصح منفرداً بنفسه، فضلاً عن ان يُزعم ارتباطه بأي من كتاب الله تعالى، قال القرطبي: (من قال في القرآن بما سنح في فهمه وخطر على باله من غير استدلال عليه بالأصول فهو مخطئ، ومن استنبط معناه بجملة على الأصول المحكمة المتفق على معناها فهو ممدوح)<sup>(١)</sup>.

وصدق القضية، ومطابقة المعنى للواقع وعدم تناقضه واستحالاته وعدم مخالفته لنصوص الشرع وقواعده - من شروط صحة التفسير به مباشرة أو استنباطاً.

ويتبع هذا الشرط العناية بتحرير الاستنباط وإيضاحه ورد الشبه والإيرادات الواردة عليه، واستفراغ الوسع في الاستدلال عليه وتأصيله<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: وان يكون في اللفظ إشعار به: فيدخل في تنبهه وإشارته ومعاني معانيه، ويتبع هذا موافقة المعنى المستنبط للعربية، وعدم خروجه عن لسان العرب وسنتها في كلامها، قال الشاطبي (الاجتهاد ان يتعلق بالاستنباط من النصوص فلا بد من اشتراط العلم بالعربية)<sup>(٣)</sup>. وقال: (كل معنى مستنبط من القرآن غير جار على اللسان العربي فليس من علوم القرآن في شيء، لا مما يستفاد منه، ولا مما يستفاد به، ومن ادعى فيه ذلك فهو في دعواه مبطل)<sup>(٤)</sup>.

رابعاً: وان يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم: وهي العلاقة بينهما، ليصح كونه مستنبطاً منها، وإلا بقي الاستنباط بمعزل عن معنى الآية ولا علاقة تربطه بها، وهذه العلاقة بين المعنيين هي نسبة المعنى إلى المعنى<sup>(٥)</sup>.

خامساً: أن يكون المعنى المستنبط مفيداً، إذ ينبغي صيانة كلام الله تعالى عما لا فائدة فيه من المعاني

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١/ ٥٨ - وينظر: الكشف والبيان للثعالبي، ١/ ٨٧.

(٢) ينظر: نكت القرآن الدالة على البيان في انواع العلوم والاحكام، لمحمد بن علي القصاب ١/ ٢٠٤، والتفسير الكبير - الرازي - ٢٩/ ١٦٨.

(٣) الموافقات للشاطبي ٥/ ١٢٤، وينظر التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي ١/ ١٦٨.

(٤) الموافقات للشاطبي ٤/ ٢٢٤.

(٥) الموافقات ٤/ ٢٢٤.



تفسيراً أو استنباطاً<sup>(١)</sup>، وما لا فائدة فيه من المعاني يشمل كل معنى أبطل معنى الظاهر، أو نزل ببيان القرآن العالی، أو حطّ من إجلاله وتعظيمه الواجب، أو ارتبط بعلوم فاسدة، أو لا فائدة فيها شرعية أو دنيوية<sup>(٢)</sup>.

قال الرازي في تعليقه لأحد المعاني: (ومعلوم ان حمل الآية على محمل تبقى الآية معه مقيدة، أولى من حملها على محمل تبقى الآية معه مجملة)<sup>(٣)</sup>. وهذا مطرد في عامة المعاني المباشرة والمستنبطة.

سادساً: الا يكون المعنى المستنبط متكلفاً، وهذا شرط كمال يصون هذا العلم عن الابتدال<sup>(٤)</sup>.

إذ المعاني المستنبطة لا تحد ومراتبها في القرب والبعد والظهور والخفاء متفاوتة، فلزم ضبط كل ذلك بصيانة المعنى من التكلف، قال ابن تيمية: (ان اللسان له موقع من الدين، والعبارة المرضية مندوب إليها، كما التعمق منهجي عنه)<sup>(٥)</sup>.

ويعيب ابن العربي على بعض من وقع في ذلك بقوله: (ومن أحسن ما ألف فيه - أي كتب التفسير القائمة على الاستنباط - كتاب اللطائف والإشارات للقشيري، وان فيه لتكلفاً أو وقع فيه ما ملكه من مقاصد الصوفية)<sup>(٦)</sup>.

سابعاً: الأيعد استنباطه من الآية تفسيراً لها باطلاق، بل يتعين عليه اعتقاده من المعاني التابعة للمعنى الأصلي الظاهر للآية الذي هو تفسيرها، كما يتعين عليه تقييد وصفه لتلك الاستنباطات بالتفسير فيسميها بالتفسير الاشاري، أو نكت القرآن، أو غيرها مما ميز به العلماء هذه الاستنباطات عن غيرها من مؤلفات التفسير الاصطلاحي، وذلك لصيانة معاني كتاب الله من التحريف، حين يعتقد القارئ مطابقة الاستنباط للفظ الآية.

وهذا ما عبر عنه الشاطبي بقوله عن إشارة تفسيرية لأحد المفسرين، مشكلاً في الظاهر، بعيدة

(١) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان - لأبن القيم - ٩٢/١.

(٢) ينظر: معالم الاستنباط في علم التفسير - الزهراني - ١٣.

(٣) التفسير الكبير - الرازي - ١١/١٢٧.

(٤) ينظر: قانون التأويل ٢٠٧-٣٦٧ - والتكميل في اصول التأويل - للفراهي - ٢٧٠.

(٥) تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل - ابن تيمية - ١/٢٧١.

(٦) قانون التأويل - لابن العربي - ٢٠٧.

عن السياق (ولكن له وجه جار على الصحة، وذلك انه لم يقل ان هذا هو تفسير الآية)<sup>(١)</sup>. ولما ادرك أبا عبد الرحمن السلميّ (رحمه الله تعالى)، (شيخ الصوفية وعالمهم بخراسان) الإشارة صراحةً إلى هذا الشرط في تفسيره ((حقائق التفسير)) شفّع عليه جماعة من العلماء<sup>(٢)</sup>. قال ابن الصلاح (رحمه الله تعالى): (وانا أقول: الظن بمن يوثق به منهم انه إذا قال شيئاً من أمثال ذلك انه لم يذكره تفسيراً، ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة من القرآن العظيم، فانه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية، وإنما ذلك منهم لنظير ما ورد به القرآن فان النظر يُذكر بالنظير)<sup>(٣)</sup>.

فهذه الشروط يكمل الاستنباط ويحسن، وباختلافها يؤول الحال إلى ما ذكره ابن القيم عن استنباط لبعض الصوفية اختلت فيه بعض هذه الشروط<sup>(٤)</sup>. وقد أطال الشاطبي في عرض نماذج من استنباطات مردودة مع التعليق عليها في كتابه الموافقات<sup>(٥)</sup>. وتتفاوت المعاني المستنبطة في القرب والبعد من معنى الآية كما تتفاوت في الظهور والخفاء، وكل ذلك بحسب المعنى المستنبط، ووجه اتصاله بالمعنى الظاهر، وباستعراض أي من الكتب المفردة في الاستنباطات القرآنية يتضح ذلك بلا خفاء، فبينما ترى استنباطاً على التمام إذ يتلوه آخر موغلاً في الإبهام، ثم يمر بك استنباط في القرب والظهور كأنه المباشر للفظ. ويعبر عن المعاني المستنبطة في كلام العلماء بألفاظ عديدة نحو: (باطن الآية وما وراء اللفظ وإشارات الآيات ولطائف ونكت الآيات وحقائق المعاني ومعاني المعاني وروح المعاني ورموز المعاني ومستتبعات التراكيب ودقائق التفسير وإسرار التأويل وتأمّلات قرآنية وظلال الآيات وهداية الآيات وفوائد الآيات وغيرها وبعضها اعم في الاستعمال من بعض)<sup>(٦)</sup>.

(١) الموافقات ٤/ ٢٤٢ - ٢٤٣ - وينظر: الاتقان للسيوطي ٢/ ٣٦٧.

(٢) فتاوي ابن الصلاح ١/ ١٩٦ - وينظر: الاتقان في علوم القرآن ٢/ ٣٦٥.

(٣) فتاوي ابن الصلاح ١/ ١٩٦.

(٤) طريق المهجرتين وباب السعادتين - لابن القيم - ٥٠٧.

(٥) ينظر: الموافقات - للشاطبي - ٤/ ٢٣٥ - وينظر: بدائع الفوائد لابن القيم ٢/ ١٥١.

(٦) معالم الاستنباط - للزهراي - ١٣ - ١٤.



وبيان معنى اللفظ سابق للاستنباط منه، ولا يصح استنباط الا على معنى صحيح ثابت اللفظ، فاللفظ بمنزلة الأساس، والاستنباط بمنزلة البنيان ولا يطمع في الوصول إلى الباطن قبل احكام الظاهر، ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير فهو كمن ادعى البلوغ إلى سور البيت قبل ان يجاوز الباب<sup>(١)</sup>.

وقال القرطبي (رحمه الله تعالى): (والنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير أولاً، ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط، ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل احكام الظاهر)<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الرابع

#### المنهج المتبع لبلوغ درجة الاستنباط المحموده شرعاً

ان هذا العلم عزيز وليس في مقدور عامة الناس ولا أكثر علمائهم الخوض فيه، وانما هو شأن القلة التي تمكنت منه بعد جهد واجتهاد وفتح وتوفيق من الله تعالى ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

قال شمس الدين الأصفهاني: (كل من كان حظه في العلوم أوفر كان نصيبه من علم القرآن أكثر)<sup>(٤)</sup>. قال ابن القيم في معنى (يستنبطونه) أي (يستخرجون حقيقته وتدبيره بفطنتهم وذكائهم وإيمانهم ومعرفتهم بمواطن الأمن والخوف)<sup>(٥)</sup>.

قال: (ولو رزق العبد تضلعاً من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفهماً تاماً في النصوص ولوازماً، لأستغنى بذلك عن كل كلام سواه ولاستنبط جميع العلوم الصحيحة منه)<sup>(٦)</sup>.

ومن رام بلوغ شيء من مدارج هذا العلم فليحكم أولاً الطريق إليه وهو: العلم بحدود ألفاظ الآيات، وفهم وجوه معانيها وتصرفات أساليبها ثم يستظهر بعد ذلك بآلة راسخة في علوم اللسان

(١) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ٢/ ٣٦٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن - ١/ ٥٩.

(٣) سورة النساء / ٨٣.

(٤) مقدمات تفسير الاصفهاني، دراسة وتحقيق إبراهيم بن سليمان الهويميل ٢٦٤.

(٥) مفتاح دار السعادة لابن القيم ٤٢٣.

(٦) زاد المعاد لابن القيم ٤/ ٣٧٩.

والبيان وأصول الشرع ومقاصده، وبتحقيق تام فيها هو بصدد استنباط مسائله من العلوم ما تقع عليه بصيرته من دقائق المعاني ومحاسن الإشارات الأقرب منها فالأقرب إلى معنى الآية ثم الأقوى منها فالأقوى في الدلالة على مقصده ومراده<sup>(١)</sup>.

قال ابن جرير: (أولى العبارات ان يعبر بها عن معاني القرآن أقربها إلى فهم سامعيه)<sup>(٢)</sup>. وقال الراغب الأصفهاني في المقدمة لجامع التفسير: (ان المائل إلى دقيق المحاجة لم يخط إلى الاغمض الذي لا يعرفه الا الأقلون، وقد اخرج الله تعالى مخاطباته في أجلى صورة تشتمل على أدق دقيق لتفهم العامة من جليها ما يقنعهم ويلزمهم الحجّة، ويفهم الخواص من أسرارها ودقائقه)<sup>(٣)</sup>. وقال ابن القيم: (وإذا دعاك اللفظ إلى المعنى من مكان قريب، فلا تجب من دعاك إليه من مكان بعيد)<sup>(٤)</sup>.

وان بذل غاية الوسع والاجتهاد في تفحص معاني الآيات، وتقليب وجوبها والغوص في مدلولات ألفاظها ومقاصدها وعللها هو أعظم شرط لنيل المراد في هذا الباب، ولتحقيق ذلك عانى العلماء ما عانوه ولحقهم فيه من المشقة والجهد ما لحقهم، وهذه صورة من ذلك يروىها محمد بن سعيد الفاريابي، عن الإمام المزني قال: (كنا يوماً عند الشافعي بين الظهر والعصر عند الصحن في الصفة والشافعي قد استند إلى اسطوانة، إذ جاء شيخٌ عليه جبة صوف وعمامة صوف وازار صوف وفي يده عُكاز، قال: فقام الشافعي وسوى عليه ثيابه واستوى جالساً قال وسلم الشيخ وجلس واخذ الشافعي ينظر إلى الشيخ هيبه له، إذ قال له الشيخ: أسأل؟ فقال: سل. قال أين الحجّة في دين الله؟ فقال الشافعي: كتاب الله قال: وماذا؟ قال: سنة رسول الله ﷺ، قال وماذا؟ قال: اتفاق الأمة. قال: من أين قلت: اتفاق الأمة من كتاب الله؟ قال: فتدبر الشافعي ساعة، فقال للشافعي يا شيخ: قد أجلتكَ ثلاثة أيام ولياليها، فان جئت بالحجّة من كتاب الله في الاتفاق وإلا تب إلى الله عز وجل، قال: فتغير لون الشافعي، ثم انه ذهب فلم يخرج ثلاثة أيام ولياليهن قال: فخرج إلينا اليوم الثالث في

(١) ينظر معالم التنزيل - ٣٨.

(٢) جامع البيان ١٧/١٦.

(٣) مقدمة جامع التفسير للأصفهاني ٧٥ وينظر: التيسير في علم التفسير ٢١٨.

(٤) التبيان في أقسام القرآن - ابن القيم - ٢١٦.



ذلك الوقت أي في الوقت بين الظهر والعصر وقد انتفخ وجهه ويدها ورجلاه، وهو مقام فجلس، قال: فلم يكن بأسرع ان جاء الشيخ فسلم وجلس، فقال: حاجتي: فقال الشافعي: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾<sup>(١)</sup> قال لا: فقال: صدقت وقام وذهب: فلما ذهب الرجل قرأت القرآن في كل يوم وليلة ثلاث مرات حتى وقفت عليه<sup>(٢)</sup>.

وقد كان هذا الاجتهاد دأب الشافعي (رحمه الله تعالى)، ومنه قوله: (لما أردت إملاء تصنيف أحكام القرآن قرأت القرآن مائة مرة)<sup>(٣)</sup>.

وبالتأمل في حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (مثل ما بعثني الله تعالى به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكان منها طائفة طيبة، قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعشب الكثير)<sup>(٤)</sup>.

ترى جملة ظاهرة من أوصاف أهل العلم في الاستنباط احتواها هذا المثل النبوي الجليل<sup>(٥)</sup>.

وبيانها: أن قلوب هؤلاء العلماء أرض طيبة، قبلت الوحي واستقر في أعماقها، ثم انبت الوحي في جوارحهم العمل الصالح الكثير الذي يتعدى نفعه أنفسهم إلى غيرهم، فهم أهل إيمان راسخ وعمل بالعلم ملازم ونفع للناس دائم. وهذا يؤكد ان لطهارة الباطن، وزكاة النفس وعمارة القلب بالتقوى أثر ظاهر في باب الاستنباط ولهذا المعنى نصيب من قول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٦)</sup>.

ووجه الاستدلال في ذلك: ان انشغال القلب بمعاني العبودية والتقوى يقربه من إشاراتها ودلالاتها في الآيات، ذلك أن من اهتم بشيء غلب على تفكيره وتراءى له في كل ما يقصده، وقد دل

(١) النساء / ١١٥ .

(٢) ينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر ٥١ / ٣٦٢ - وسير اعلام النبلاء للذهبي ١٠ / ٨٣ .

(٣) تاريخ دمشق ٥١ / ٣٦٣ .

(٤) رواه البخاري في صحيحه ١ / ٢١١ (٧٩) .

(٥) ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٠ / ٤٣-٤٥ .

(٦) سورة البقرة / ٢٨٢ .

قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾<sup>(١)</sup>.

على أن فهم المراد من القرآن والانتفاع به إنما يحصل لمن هو في القلب، كما ان هذه الاستنباطات من نعم الله تعالى على العبد، ولا تنال نعمة الله تعالى بغير طاعته وتقواه وقد أشارت النصوص الشرعية إلى ان أهل هذه الصفات - من الطاعة والتقوى وحياة القلب- أولى بإصابة الحق من غيرهم، إذ معهم من أسباب الهداية والإصابة ما يدينهم من الحق ويجليه لهم، قال ﷺ (الصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء)<sup>(٢)</sup>.

قال ابن تيمية (رحمه الله تعالى): (ومن كان معه نور وبرهان وضياء كيف لا يعرف حقائق الأشياء من فحوى كلام أصحابها؟! وفي الحديث الصحيح (لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها)<sup>(٣)</sup>.

ومن كان توفيق الله له كذلك فكيف لا يكون ذا بصيرة نافذة ونفس فعالة، وإذا كان القلب معموراً بالتقوى انجلت له الأمور وانكشف، بخلاف القلب الخراب المظلم، وكلما قوي الإيمان في القلب قوي انكشاف الأمور له وعرف حقائقها من باطلها)<sup>(٤)</sup>.

ومما يعين المفسر على حسن الاستنباط: تفرغ القلب من الشواغل، وجمعه على ما هو بصده من تأمل دقائق المعاني ولطائفها، قال الإمام الرازي (رحمه الله تعالى) مبيناً أثر انشغال القلب على الاستنباط: (فهذا فحوى الكلام في المسائل الفقهية المستنبطة من هذه الآية، وهي مائة مسألة، وقد كتبناها في موضع ما كان معنا شيء من الكتب الفقهية المقيدة، وكان القلب مشوشاً بسبب استيلاء الكفار على بلاد المسلمين، فنسأل الله تعالى ان يكفيننا شرهم، وان يجعل كدنا في استنباط أحكام الله من نص الله سبباً لرجحان الحسنات على السيئات، انه اعز مأمول، وأكرم مسؤول)<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة يس/ ٦٦-٧٠.

(٢) رواه مسلم في صحيحه ٤٥٥/١ (٢٢٣).

(٣) رواه البخاري في صحيحه ٣٤٨/١١ (٢-٦٥).

(٤) التفسير الكبير للرازي ١١/١٣٨.

(٥) ينظر: التفسير الكبير ١ / ١٥.



وللتعود على هذا العلم (الاستنباط) والخبرة به أثر ظاهر في التمكن منه وإتقانه، شأنه في هذا شأن سائر العلوم التي لا يتحقق العالم وترسخ فيها قدمه الا بمعاناتها وإدمان النظر فيها، ومن أحسن الشواهد على هذا في علم الاستنباط حال الأمام الرازي رحمه الله تعالى، الذي قصد إلى تحقيق استنباط عشرة آلاف مسألة من سورة الفاتحة، فشرع في تفسيره الجليل: التفسير الكبير، وملاه بعجائب العلوم والاستنباطات<sup>(١)</sup>.

فيقول شاهداً على معاناة الاستنباط واعتياده، بعد ذكره لطائفة من دقائق المسائل والاستنباطات في قوله تعالى ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾<sup>(٢)</sup>.

(فهذه المسائل الأصولية) استنبطناها من هذه الآية في أقل من ساعتين ولعل الإنسان إذا استعمل الفكر على الاستقصاء أمكنه استنباط أكثر مسائل أصول الفقه من هذه الآية<sup>(٣)</sup>.

وقد ذكر بعض العلماء لزوم المسارعة إلى تقييد ما يسنح بالخاطر من هذه الإشارات واللطائف والمستنبطات، فإنها عزيزة الورد، سريعة الزوال، نادرة الرجوع، وفي شرح حديث علي رضي الله عنه: (ما عندنا الا ما في القرآن، أو في ما يعطيه الله رجلاً في كتابه، أو ما في هذه الصحيفة)<sup>(٤)</sup>.

قال ابن حجر ومراد علي أن الذي عنده زائداً على القرآن مما كتب عنه: الصحيفة المذكورة، وما استنبط من القرآن، كأنه كان يكتب ما يقع له من ذلك لئلا ينساه، بخلاف ما حفظه عن النبي ﷺ من الأحكام فإنه يتعدها بالفعل والإفتاء بها فلم يخشَ عليها من النسيان<sup>(٥)</sup>.

ولما كانت هذه الاستنباطات من نعم الله تعالى على العبد وفضله عليه وجب عليه إكرامها وشكرها، ومن ذلك تقييدها وحفظها، وقد تمثل ذلك الأمام الرازي رحمه الله فقال عن إحدى لطائف استنباطاته: (ثم ان ههنا لطيفة فقهية لاحت لهذا الضعيف حال تفكره في تفسير هذه الآية، فأراد تقييدها هنا، فإنها من فضل الله فيجب علي إكرامها بالتقيد بالكتاب)<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٠/٤٣-٤٥.

(٢) سورة النساء / ٥٩.

(٣) التفسير الكبير ١ / ١٢٢ وينظر: التحرير والتنوير ٣ / ١٥٨.

(٤) رواه ابن راهويه في مسنده ٤ / ٢٣٠ (٢٠٣٨) وفي مسند أحمد ١ / ٣١٤ (٢٨٨١) وسنده صحيح.

(٥) فتح الباري لأبن حجر العسقلاني ١٢ / ٢٥٧.

(٦) التفسير الكبير ٢٩ / ١٦٨.

## المطلب الخامس امثلة للاستنباطات من النصوص

يمكن تقسيم الاستنباط من الآيات على أقسام:

القسم الأول: النص الظاهر الذي لا يحتاج الى تفسير

وهو على نوعين:

أولاً: أن يكون الاستنباط صحيحاً.

ومثاله: ما ذكر السيوطي في قوله تعالى: (وامرأته حمالة الحطب) قال: ((واستدل به الشافعي على

صحة انكحه الكفار))<sup>(١)</sup>.

ثانياً: أن يكون الاستنباط غير صحيحاً.

ومثاله: ما ذكره الماوردي قائلاً: (ذهب من يتفقه من المفسرين إلى ان من وصى بجزء ماله لرجل،

أنها وصية بالعشر، لأن إبراهيم (عليه السلام) وضع أجزاء الطير على عشرة جبال)<sup>(٢)</sup>.

القسم الثاني: الاستنباط من نص غير ظاهر والذي يحتاج إلى تفسير:

وهذا النوع يكون الاستنباط منه بعد بيان المعنى، أي التفسير وهو على أنواع:

١- أن يكون التفسير صحيحاً، والاستنباط صحيحاً وهذا كثير جداً.

ومثاله ما استنبطه ابن عطية الأندلسي من قوله تعالى ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ

وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٣)</sup>

قال (ظاهر هذه الآية يقتضي أن التدبر من أسباب إنزال القرآن، فالتنزيل إذا أفضل لهذا، إذ

التدبر لا يكون الا مع الترتيل)<sup>(٤)</sup>

٢- ان يكون التفسير صحيحاً، والاستنباط غير صحيح.

ومثاله: ما استنبطه ابن عطية الأندلسي من قوله تعالى ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا

(١) الإكليل في استنباط التنزيل - السيوطي - ٢٠.

(٢) النكت والعيون للماوردي: بتحقيق السيد بن عبد الرحيم بن عبد المقصود: ١ / ٢٣٦.

(٣) سورة ص / ٢٩.

(٤) المحرر الوجيز لأبن عطية الأندلسي - ١٣ / ١٩١.

يَشَاءُ يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ \* أَوْ يَزُوجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿١﴾.

فبعد تفسيره للآية تفسيراً صحيحاً. قال (وهذه الآية تقضي بفساد وجود الخنثى المشكل) (٢).  
الآية لا تدل على ما قاله، ولم تنف وجوده، وإنما ترك ذكر الخنثى المشكل لندرته وقلته أمام هذه الأقسام المذكورة.

٣- ان يكون التفسير غير صحيح، ويكون الاستنباط غير صحيح كذلك.  
ومثاله: تفسير قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ (٣)  
قالت المعتزلة ان لن تفيد التأيد، والمعنى لن تراني أبداً، فيشمل نفي الرؤية في الدنيا والآخرة (٤)  
وقال أبو الفضل الطبرسي المعتزلي (قال لن تراني) (هذا جواب من الله) ومعناه لا تراني أبداً، لأن ((لن)) ينفي على وجه التأيد كما قال: (ولن يتمنوه أبداً) (٥)  
وقال ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ (٦)

٤- قد تكون الفائدة المستنبطة في ذاتها صحيحة، لكن حملها على معنى الآية غير صحيح.  
ومثال ذلك ما فسر به بعضهم قوله تعالى ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً﴾ (٧)  
قال: (هذه الآية مثل ضربه الله للدنيا، فشبها الله بنهر، والشارب منه بالمائل إليها المستكثر منها، والتارك لشربه بالمنحرف عنها والزاهد فيها، والمغترف بيده بالأخذ منها قدر الحاجة، وأحوال

(١) سورة الشورى / ٤٩ - ٥٠.

(٢) المحرر الوجيز - ١٣ / ١٩١.

(٣) سورة الأعراف: ١٤٣.

(٤) ينظر: الاقوال الشاذة في التفسير لعبد الرحمن صالح الدهش ٣٢.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن ١٦/٩.

(٦) سورة الحج / ٧٣.

(٧) سورة البقرة / ٢٤٩.

الثلاثة عند الله مختلفة<sup>(١)</sup>.

قال القرطبي (رحمه الله تعالى): (ما أحسن هذا الكلام لولا ما فيه من التحريف في التأويل، والخروج عن الظاهر، ولكن معناه صحيح في غير هذا)<sup>(٢)</sup>.

القسم الثالث: الاستنباط من ربط آيتين ببعضهما:

قد ترد بعض الآيات مبينة لحكم ما، وترد آية أخرى مبينة لحكم آخر، فيكون بجمع الآيتين بيان لحكم جديد لا يدل عليه أحد الآيتين على انفرادها ومن الفوائد المستنبطة من الجمع بين آيتين: ان اقل مدة الحمل ستة أشهر وذلك لقوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾<sup>(٤)</sup>

قال السيوطي (رحمه الله تعالى): (أخرج ابن أبي حاتم عن معمر بن عبد الله الجهني، قال: تزوج رجل من امرأة، فولدت لتام ستة أشهر، فانطلق إلى عثمان، فأمر برجمها، فقال علي: اما سمعت الله يقول: ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾<sup>(٥)</sup>، وقال ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾<sup>(٦)</sup> فكم نجد بقي الالسة أشهر، فقال عثمان (رضي الله عنه: والله ما تفتنت لهذا)<sup>(٧)</sup>.

القسم الرابع: الاستنباط بأعمال مفهوم المخالفة:

وذلك ان يأتي النص بخبر أو حكم، فما كان فيه من معنى الخبر أو الحكم المنصوص عليه مباشرة فهو من التفسير، وما يفهم عنه من معان أحكام أخرى فهو من الاستنباط. ومن الفوائد المستنبطة بأعمال مفهوم المخالفة، استنباط الشافعي وقوع الرؤية من قوله تعالى ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾<sup>(٨)</sup>.

(١) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط - مساعد الطيار - ٩١.

(٢) تفسير القرطبي - ١ / ٢٥١

(٣) سورة لقمان / ١٤.

(٤) سورة الأحقاف / ١٥

(٥) سورة الأحقاف / ١٥

(٦) سورة لقمان: من آية ١٤.

(٧) الإكليل في استنباط التنزيل ١٩٤ وينظر: تفسير ابن كثير ٦ / ٣٣٦ - ٧ / ٢٨٠.

(٨) سورة المطففين / ١٥.



قال: (فلما ان حجبا هؤلاء في السخط، كان هذا دليل على أنهم يرونه في الرضا)<sup>(١)</sup>.

ولا تخلو بعض الاستنباطات من البعد والغرابة في الاستنباط، وكم من اجتهاد في الاستنباط لم يوفق مثل قول ابن عطية في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ سُقْفًا مِنْ فُضَّةٍ﴾<sup>(٢)</sup>

((وقيل: ودلت هذه الآية على ان السقف لرب البيت الأسفل إذ هو منسوب إلى البيوت. قال

القاضي أبو محمد: وهذا تفقه واهن))<sup>(٣)</sup>

## المطلب السادس الاستنباط في كتب التفسير

لا يكاد يخلو كتاب من كتب التفسير الموسعة والمتوسطة من استنباط من الآيات، بل أفرد بعضهم علم الاستنباط في مصنفات مستقلة عن التفسير، وهذه أمثلة من أشهر هذه المصنفات في خصوص هذا العلم:

أولاً: (تفسير التستري) و (لطائف الإشارات) لأبي قاسم القشيري وحقائق التفسير لأبي عبد الرحمن السلمي، وموضوعها الإشارات الصوفية، واستنباطات المعاني الإيمانية<sup>(٤)</sup>.

ثانياً: (نكت القرآن الدالة على البيان) في أنواع العلوم الأحكام، للقصاب الكرجي وموضوعه استنباطات في العلوم الشرعية، ويغلب عليها الاستنباطات الفقهية والعقدية<sup>(٥)</sup>.

ثالثاً: (حجج القرآن) لأبي الفضائل أحمد بن محمد بن مظفر الرازي، وهو غير مطبوع استنبط فيه الحجج الاعتقادية لعامة الفرق الإسلامية من جميع القرآن الكريم<sup>(٦)</sup>

رابعاً: (الإكليل في استنباط التنزيل) للسيوطي وموضوعه استنباطات فقهية وأصولية

(١) ينظر: شرح أصول اعتقاد اهل السنة والجماعة للألكائي، تحقيق أحمد سعد حمدان ٣ / ٤٦٧ - ٤٩٩.

(٢) سورة الزخرف / ٣٣.

(٣) المحرر الوجيز، ابن عطية ١٣ / ٢١٩ - ٢٢٠، والواهن: يقصد به التفقه الضعيف.

(٤) ينظر: تفسير التستري ١٥ - ١٧ وحقائق التفسير ١ / ٢٠.

(٥) ينظر: نكت القرآن ١ / ٥٩ - ٧٧.

(٦) ينظر: معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مكتبة العلوم والحكم ١ / ٦٥.

واعتقادية وبعضاً مما سوى ذلك، وقرن فيه الاستنباط بتفسير الآية حيث أن توقف فهم الاستنباط عليها ويطلبه في موضوعه: (فصل في معانٍ مستنبطة من سورة النور)<sup>(١)</sup> لأبن تيمية، وكتابي (فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأحكام المستنبطة من القرآن) و(المعاني المستنبطة من سورة الفاتحة) لأبي عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري<sup>(٢)</sup>.

ويكاد يكون الاستنباط من الآيات غرض الرازي في تفسيره (التفسير الكبير)، فيكون من هذا القبيل من الكتب، لولا ما فيه من التفسير، وقد قيل عنه (فيه كل شيء الا التفسير)<sup>(٣)</sup>.

ومثله في الاستنباط والقصد بجلاء: ابن العربي في (أنوار الفجر في مجالس الذكر)<sup>(٤)</sup>. والكرماني في (غرائب التفسير وعجائب التأويل)<sup>(٥)</sup>.

على تنوع في الموضوعات المستنبطة، ما بين عقيدة وفقه ولغة وأصول وتزكية وآداب وغيرها<sup>(٦)</sup>.

## المطلب السابع

### نماذج تطبيقية للاستنباط من القرآن الكريم

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال<sup>(٧)</sup>: (كان عمر يدخلني مع أصحاب بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: انه من حيث علمتم فدعاه ذات يوم، فادخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ الا ليُرِيهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾<sup>(٨)</sup>، فقال بعضهم: أمرنا نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أ كذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو

(١) مجموع الفتاوي ١٥ / ٢٨١

(٢) ينظر: الإكليل في استنباط التنزيل ١ / ٢٨٢.

(٣) ينظر: التفسير الكبير ١ / ١٥ - ٢٢ - ٢٣.

(٤) نقل هذه العبارة غير واحد من المصنفين ينظر الوافي بالوفيات للصفدي ٤ / ٢٥٤.

(٥) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني - ١ / ٨٨.

(٦) ينظر: معالم التنزيل في علم التفسير للزهراني - ١٨.

(٧) ينظر: الموافقات للشاطبي ٤ / ٢١٠.

(٨) سورة النصر / ١.



أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: (إذا جاء نصر الله والفتح) وذلك علامة أجلك ((فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان تواباً)) فقال عمر: ما اعلم منها الا ما تقول<sup>(١)</sup>.

### دراسة وتحليل:

لما سأل عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الصحابة عن المعنى في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ سكت بعضهم، وفسر بعضهم الآية بقوله (أمرنا نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا) وهذا المعنى مأخوذ من ظاهر الآية، وهو المتبادر منها، قال ابن تيمية (رحمه الله): (وقد كان عمر يسأل ويسأل عن معاني الآيات الدقيقة، وقد سأل أصحابه عن قوله (إذا جاء نصر الله والفتح) فذكروا ظاهر لفظها)<sup>(٢)</sup>.

وقال الشاطبي (رحمه الله تعالى): (فظاهر هذه السورة أن الله أمر نبيه ﷺ أن يسبح بحمد ربه ويستغفره اذا نصره الله وفتح عليه)<sup>(٣)</sup>.

ثم لما توجه السؤال لابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال بانه: (أجل رسول الله ﷺ أعلمه له) وهذا خلوص من الظاهر الى لازم المعنى، وذلك ان الله تعالى علق الاستغفار بنعمة يحدثها سبحانه وهي: الفتح على رسول الله ﷺ، ودخول الناس في دينه، وهذا ليس بسبب للاستغفار، فعلم ان سبب الاستغفار غيره (وهو حضور الاجل، الذي من تمام نعمة الله على عبده توفيقه للتوبة النصوح والاستغفار بين يديه، ليلقى ربه طاهراً مطهراً من كل ذنب، فيقوم عليه مسروراً راضياً مرضياً عنه)<sup>(٤)</sup> كما أنه قد استقر في الشرع وموارد النصوص تشريع الاستغفار والتوبة عند تمام الاعمال ونهايتها<sup>(٥)</sup>.

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى معلقاً على قول ابن عباس في الآية: (وهذا باطن الآية الموافق لظواهرها فلانه لما أمر بالاستغفار عند ظهور الدين، والاستغفار يؤمر به عند ختم الأعمال، وبظهور الدين حصل

(١) الجامع الصحيح للترمذي ٥/٤٥٠ (٣٣٦٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ٨/٦٠٦، كتاب التفسير ٦٥ (٤٩٧٠).

(٣) الموافقات للشاطبي ٤/٢١١، وينظر: المحرر الوجيز ٥/١٦٤.

(٤) أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ٣/١٢٤ - وجلاء الافهام في فضل الصلاة والسلام على خير الانام، لابن القيم ١٦٤.

(٥) ينظر: مدارج السالكين لابن القيم ٣/٢٦٣ - وسر الاستغفار للقاسمي ٢٧.

مقصود الرسالة، علموا أنه أعلام بقرب الاجل مع أمور آخر، وفوق كل ذي علم عليم<sup>(١)</sup>. وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: (يدل عليه أيضا انه سبحانه شرع التوبة والاستغفار في خواتيم الاعمال، فشرعها في خاتمة الحج وقيام الليل، وكان ﷺ إذا سلم من الصلاة استغفر ثلاثاً، وشرع للمتوضئ بعد كمال وضوؤه ان يقول (اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين)<sup>(٢)</sup>. فعلم ان التوبة مشروعة عقيب الاعمال الصالحة، فأمر رسول الله ﷺ بالاستغفار عقيب توفيقه ما عليه من تبليغ الرسالة والجهاد في سبيله حين دخل الناس في دين الله افواجاً، فكان التبليغ عبادة قد أكملها وأداها، فشرع له الاستغفار عقبيها<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن القيم ايضا: (ويدل عليه أيضا قوله (فسبح بحمد ربك واستغفره) وهو ﷺ، كان يسبح بحمده دائماً فعلم ان المأمور به من ذلك التسييح بعد الفتح ودخول الناس في هذا الدين امر اكبر من ذلك المتقدم، وذلك مقدمة بين يدي انتقاله الى الرفيق الاعلى، وانه قد بقيت عليه من عبودية التسييح والاستغفار التي تُرقيه الى ذلك المقام بقية، فأمر بتوفيتها)<sup>(٤)</sup>.

ومما أكد المعنى عند ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اجتهاد رسول الله ﷺ بعد نزول هذه السورة كأشد ما يكون اجتهاداً في أمر الآخرة وكذلك كونها آخر سورة نزلت جميعاً من القرآن<sup>(٥)</sup>.

وما فهمه الصحابة من جلساء عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من الآية هو ظاهرها، وهو المعنى المطابق للفظ الآية وهو معنى مليح صحيح سواء اريد به الحمد والاستغفار باللسان، أم بالصلاة والدعاء، قال ابن كثير: (فالذي فسر به بعض الصحابة من جلساء عمر (رضي الله عنهم أجمعين)، من انه: قد أمرنا اذا فتح الله علينا المدائن والحصون ان نحمد الله ونشكره ونسبحه، يعني: نصلي له ونستغفره، معنى مليح صحيح وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي ﷺ يوم فتح مكة وقت الضحى ثماني ركعات، فقال قائلون: هي صلاة الضحى وأصيبوا بأنه لم يكن يواظب عليها، فكيف صلاها ذلك اليوم وقد كان

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٦ / ٤١٧ .

(٢) مدارج السالكين ٣ / ٢٦٣ .

(٣) أعلام الموقعين لابن القيم ٣ / ١٢٤ .

(٤) سنن النسائي الكبرى برواية ابن عباس ٥ / ٥٢٥ (١١٧١٢).

(٥) رواه مسلم في صحيحه ٦ / ٤٤١ (٣٠٢٤).



مسافراً لم ينو الإقامة بمكة؟ ولهذا اقام فيها الى آخر شهر رمضان قريباً من تسع عشرة يوم يقصر الصلاة، ويفطر هو وجميع الجيش، وكانوا من عشرة الاف، قال هؤلاء: وانما كانت صلاة الفتح، قالوا: فيستحب لأمر الجيش اذا فتح بلداً ان يصلي فيه أول ما يدخله ثماني ركعات، وهكذا فعل الصحابي الجليل سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه يوم فتح المدائن<sup>(١)</sup>.

واما تفسير ابن عباس رضي الله عنه فهو استنباط جليل، من أدق الفهم وأطفه منتزع من لفظ الآية، ومتبصر بلوازمها ومقاصدها، ولا يدركه كل أحد ألا صاحب فهم، قال ابن حجر: (وفيه جواز تأويل القرآن بما يفهم من الإشارات، وانما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه في العلم، ولهذا قال علي رضي الله عنه: (أو فهما يؤتیه الله رجلاً من القرآن)<sup>(٢)</sup>.

ولذا وافقه عليه سيدنا عمر رضي الله عنه، وهو ما تأوله رسول الله صلى الله عليه وسلم منها بفعله، فعن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: (ما صلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان نزلت عليه (اذا جاء نصر الله والفتح) الا يقول فيها: (سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم أغفر لي) يتأول القرآن<sup>(٣)</sup>، كما تأولها عدد من الصحابة بأنه حضور أجل رسول الله، صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن عطية رحمه الله تعالى: وهذا المنزع الذي ذكره ابن عباس، ذكره ابن مسعود واصحابه، ومجاهد وقتادة والضحاك، وروت معناه عائشة (رضي الله عنها) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها مرة (ما اراه الا حضور اجلي)<sup>(٥)</sup>.

وتأوله عمر والعباس بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فصدقهما<sup>(٦)</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٨ / ٣٨٨٥.

(٢) فتح الباري لأبن حجر العسقلاني ٨ / ٦٠٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ٨ / ٦٠٥ (٤٩٦٨).

(٤) ينظر: الدر المنثور للسيوطي ٨ / ٦٠١.

(٥) رواه البخاري في صحيحه ٨ / ٦٥٨ معلقاً بصيغة الجزم.

(٦) المحرر الوجيز ٥ / ٥٣٢، وينظر: الفتح السهوي بتخريج أحاديث تفسير القاضي للمناوي ٣ / ١١٣٣.

## المطلب الثامن

### أثر الاستنباط في علم التفسير

من ابرز آثار الاستنباط في علم التفسير الذي قال عنه الامام الشافعي رحمه الله<sup>(١)</sup> اذ يقول: (فحق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه والصبر على كل عارض دون طلبه، واخلاص النية لله تعالى في استدراك علمه: نصا واستنباطا مايلي:-

أولاً: - أشتمل تفسير الصحابة (رضي الله عنهم) لهذه الآية على معنيين: أحدهما: ظاهر قريب صحيح، وهو المعنى الذي ذكره من حضر من أصحاب بدر من الصحابة (رضي الله عنهم).

والآخر: باطن بعيد أصح، وهو المعنى الذي ذكره ابن عباس ووافق عليه عمر رضي الله عنه، وتأوله طائفة من الصحابة.

وقد يرتجح المعنى الباطن البعيد، على المعنى الظاهر القريب، ومع اشتراكهما في الصحة والقبول، لتفوتها في الدلالة على المراد، وكم من إشارة أغنت عن عبارته<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: - استكمل استنباط ابن عباس رضي الله عنه من هذه الآية شروط الاستنباط الصحيح، فجاء صحيحاً في نفسه، موافقاً لمقاصد القرآن، مرتبطاً بمعنى الآية غير مناقض لها، مفيداً غير متكلف، ولم يقصر معنى الآية عليه، فكان تفسيره بذلك خير مثال على استيفاء المعنى، وحسن الاستنباط.

ثالثاً: - ان ابن عباس رضي الله عنه لم يتجاوز ظاهر اللفظ إلى ما يستنبط منه الا بعد معرفة المعنى الظاهر واستقراره وظهوره في تفسير الصحابة (رضي الله عنهم)، وقوله: (لا) في جوابه على سؤال عمر: (أكذلك تقول يا ابن عباس؟) ليس نفيّاً لتفسير الصحابة بالظاهر، وانما نفيّاً لاختصاره عليه دون مراده وما يستنبط منه، وهو تفسيره بدنو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

رابعاً: - انه قد يقوي المعنى الخفي في الآية عند المفسر حتى يغيب معه المعنى الظاهر منها أو يكاد، ففي قول عمر لابن عباس (رضي الله عنهما): (ما اعلم منها الا ما تقول) نفي لما فهمه جلساؤه

(١) ينظر: تفسير مقاتل ٣/ ٥٣٠، الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعطلة لابن القيم ٢/ ٥٠٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه ٨/ ٦٠٥ (٤٩٦٨٩).



من الآية وهو ظاهرها، وهو مشكل، فان ما ذكره الصحابة (رضي الله عنهم) معنى صحيح لا شك فيه، والأخذ بالظاهر أصل جرى عليه التفسير النبوي وتفسير الصحابة (رضي الله عنهم) - ومنهم عمر وابن عباس - في غير ما موضع، ويجاب عنه بأنه ليس في قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هنا ابطال لما فهمه الصحابة أو عدم اعتبار للظاهر، وانما ذلك منه مبالغة في تصحيح قول ابن عباس، وتأكيده في مقابل قول جميع من حضر من الصحابة، وفيهم كبارهم من أشياخ بدر ويشهد له سياق القصة، فان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قصد من ذلك إظهار فضل ابن عباس وعقله وعلمه لما قالوا له: (لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: انه من حيث علمتم)، فكان ان وافقه أشد الموافقة بتلك الصيغة، وقد تكررت هذه العبارة من عمر لابن عباس (رضي الله عنهما) في غير هذا المقام، على نحو هذا المعنى، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدعوني مع أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقول لي: لا تتكلم حتى يتكلموا، قال: فدعاهم وسألهم عن ليلة القدر، قال: رأيتم قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (التمسوها في العشر الأواخر)، أي ليلة ترونها؟ قال: فقال بعضهم: ليلة إحدى، وقال بعضهم: ليلة ثلاث، وقال آخر: خمس، وأنا ساكت، فقال: ما لك لا تتكلم؟ فقلت: ان أذنت لي يا امير المؤمنين تكلمت قال: فقال: ما أرسلت اليك الا لتكلم، قال: فقلت: أحدثكم برأي، قال: عن ذلك نسألك، قال: فقلت السبع، رأيت الله ذكر سبع سموات، ومن الارضين سبعاً وخلق الانسان من سبع، وبرز نبت الارض من سبع، قال: فقال: هذا أخبرني ما أعلم، رأيت ما لا أعلم؟ ما قولك: نبت الارض من سبع؟ قال: فقلت: ان الله يقول: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقَاقًا﴾<sup>(١)</sup> إلى قوله: ((وفاكهة وابا)) والأب نبت الارض مما يأكله الدواب ولا يأكله الناس. فقال عمر: أعجزتم ان تقولوا كما قال هذا الغلام الذي لم تجتمع شؤون رأسه بعد؟ أي والله ما أرى القول الا كما قلت، وقال: قد كنت أمرتك ان لا تتكلم حتى يتكلموا، واني أمرتك ان تتكلم معهم<sup>(٢)</sup>.

خامساً: - ما فهمه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من هذه الآية استنباطاً، يطابق ما فهمه من قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> فانه لما نزلت هذه الآية فرح الصحابة (رضي الله عنهم) بهذا التمام، وبكى

(١) سورة عبس / ٢٦.

(٢) ينظر: الموافقات ٤ / ٢٠٢.

(٣) سورة المائدة / ٣.

عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مستشعراً نعيه ﷺ، وقال: (لم يكمل شيء الا نقص)<sup>(١)</sup>  
وما عاش بعدها رسول الله ﷺ الا إحدى وثمانين يوماً<sup>(٢)</sup>، وظاهر اعتماد عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في هذا  
الاستنباط على لازم معنى اللفظ، قال ابن كثير<sup>(٣)</sup>: ويشهد لهذا المعنى الحديث الثابت: (بدأ الاسلام  
غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء)<sup>(٤)</sup>.

سادساً: - ان الذي ميز ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن غيره من الصحابة في هذا المقام وأمثاله من مقامات  
التفسير والبيان: دقة الفهم، وجودة الاستنباط، كما سيقت الاشارة اليه.

سابعاً: - الحث على التأمل في معاني المعاني، ولوازمها، وربط الوحي (كتاباً وسنة) بعضه ببعض،  
والغوص فيما وراء الألفاظ، للوقوف على مرادات الله ورسوله ﷺ، قال الغزالي: (وهو مصيب في  
الاخبار عن نفسه، مخطئ في الحكم برد كافة الخلق الى درجته التي هي حده ومحطه، بل الاخبار  
والآثار تدل على ان في القرآن متسعاً لأرباب الفهم، فيه رموز وإشارات، ومعان وعبارات،  
وتلويح ودلالات، يختص بدركها أهل الفهم)<sup>(٥)</sup>

وقال ابن القيم: (والعلم بمراد المتكلم يعرف تارة من عموم لفظه، وتارة من عموم علتة،  
والحوالة على الاول أوضح لأرباب الألفاظ، وعلى الثاني أوضح لأرباب المعاني والفهم والتدبر)<sup>(٦)</sup>  
(وان اردنا أدخلنا هذا في باب معنى المعنى، أي المعاني التي وراء المعاني، ولا ضير ان تكون وراءها  
بمسافة أبعد، أو ان تكون من باب مستتبعات التراكيب وهو باب جليل غيبه غبار العجمة)<sup>(٧)</sup>.

هذه أبرز المسائل في هذا الأثر التفسيري الجليل، وبه يتم ما قصدت اليه من هذا البحث، وأختمه  
بمقالة الامام الشافعي (رحمه الله تعالى) في الوصية بهذا العلم اذ يقول:

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة ٢/ ٩٧٠ (١٩٠٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٧/ ٨٨ (٣٤٤٠٨).

(٣) جامع البيان للطبري ٨/ ٨١ وينظر: تفسير ابن كثير ٣/ ١١٠١.

(٤) رواه مسلم ١/ ٣٣٣ (١٤٥).

(٥) ينظر إحياء علوم الدين للغزالي ١/ ٢٨٩.

(٦) اعلام الموقعين ٢/ ٣٨٧.

(٧) اعلام الموقعين ٢/ ٣٨٧.



(فحق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه، والصبر على كل عارض دون طلبه، وإخلاص النية لله في استدراك علمه: نصاً واستنباطاً، والرغبة إلى الله في العون عليه، فإنه لا يدرك خير إلا بعونه) (١).

## خاتمة البحث

الحمد لله على إتمام النعمة، واكتمال مباحث هذا العلم، واسأله تعالى المزيد من فضله وتوفيقه، وبعد..

فاعرض أبرز النتائج واهم التوصيات موضحاً فيها جملة من القضايا التي تبينت وتأكدت من خلال معايشة هذا البحث، وتتلخص النتائج فيما يأتي:

أولاً: قامت موضوعات كتب التفسير على ثلاثة أنحاء: بيان الألفاظ والمعاني، وبيان معاني المعاني، وقد أهتم العلماء كثيراً في بيان وتحرير جانب الفاظ القرآن ومعانيه، أما جانب معاني المعاني، وما يتبع التراكيب والاستنباطات القرآنية، فهو باب جليل، لم يأخذ حظه من التحرير والتأصيل مع كون هذا العلم من الصق العلوم بعلم التفسير.

ثانياً: لما كان بيان السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم لمعاني القرآن في الذروة من الإصابة والبيان، كان استنباطهم أدق استنباط واصحه والطفه وهذا التميز في تفاسير السلف واستنباطاتهم المتميزة في مقتضى خيريتهم وتفضيلهم الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ.

ثالثاً: ان تميز السلف في تناول هذا النوع الدقيق من البيان، ليرز حرصهم على توفية الآيات حقها من المعاني، واستيعاب كل حق اشار اليه لفظ الآية، ودل عليه معناها، وذلك هو علم الاستنباط. رابعاً: ان الاستنباط علم معتبر، وحجة في الشرع، دلت على اعتباره وتقديمه جملة من ادلة الكتاب والسنة.

خامساً: من حق اللفظ والمعنى في التفسير استيعاب المعاني الصحيحة المتعلقة بهما من جهة ند المعنى ولوازمه وأشباهه ونظائره.

سادساً: المعاني المأخوذة بالاستنباط بطبيعتها أكثر وأغنى من معاني الألفاظ المباشرة، بل أن من أحكام الحوادث ما لا يصرف بالنص وإنما بالاستنباط وكم من سر وحكم نبهت عليها الإشارة،

(١) الرسالة للشافعي ١٩/١.

ولم تبيينها العبارة.

سابعاً: الاستنباط قدر زائد على مجرد ادراك المعنى الظاهر، ومن ثم عز وجوده وصعب ادراكه، ولا يؤتاه كل أحد، بل هو من مواهب الله تعالى التي ينعم بها على من شاء من عباده. ثامناً: موضوع علم الاستنباط: نظير المعنى الظاهر ونُدُّ له، الذي يوافق في القصد أو يقاربه، ولو ازم المعنى، وعلله، يلحق به أشباهه ونظائره، وتباين نسبة الألفاظ بعضها الى بعض، ثم مقاصد المتكلم ومراده، بحيث لا يزداد عليها ولا ينقص منها.

تاسعاً: بيان معنى اللفظ سابق للاستنباط منه، ولا يصح استنباط الا على معنى صحيح ثابت اللفظ، فاللفظ بمنزلة الأساس، والاستنباط بمنزلة البيان، ولا يطمع في الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر.

عاشراً: علم الاستنباط علم مبارك، يفيض على الأمة كل زمان بكل ما تحتاجه من معرفة الحق المطابق لوقائعها، والمستمد من خير بيان واصدق كلام، كتاب الله تعالى.

## التوصيات

في ختام بحثي هذا لا بد من بعض التوصيات الهادفة الى رفع مستوى التأصيل والإيضاح لهذا العلم، وهي كما يأتي:

أولاً: الاستنباط من أهم أسباب درك العلم، وله من الأصول والضوابط التي تجمع جزئياته، وتلم متفرقاته، ما يجدر معه بأهل العلم ابرازها وتحديدها، بعد جمعها ودرسها.

ثانياً: يلزم العناية بآثار السلف في علم التفسير، مع ابراز انواع العلوم والمعارف التفسيرية منها، ثم تأصيل علوم التفسير على نهجها.

ثالثاً: وجود العناية بتقريب معاني الآيات وتسهيلها للناس، وربط الحوادث المستجدة لديهم بمعاني صحيحة من آيات القرآن الكريم، واستثمار علم الاستنباط في نيل هدايات القرآن في كل زمان ومكان.

هذه أبرز النتائج والتوصيات، وبالله تعالى التوفيق وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



## قائمة المصادر والمراجع

### القرآن الكريم

١. الإتيان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي ت: ٩١١هـ، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ.
٢. أحكام القرآن للجصاص، تحقيق: عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.
٣. اعلام الموقعين عن رب العالمين، لأبن القيم: ٧٥١هـ، تح: مشهور بن حسن آل سلمان، دار أبن الجوزي، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٤. إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، لأبن القيم، تحقيق: حسان عبد المنان، وعصام الحرساني لمؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٤هـ.
٥. الأكليل في استنباط التنزيل، للسيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: عامر بن علي الصرابي، دار الخضراء، جدة، ط ١، ١٤٢٢هـ.
٦. البحر المحيط في اصول الفقه، للزركشي، تحقيق: محمد ثامر، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ.
٧. بدائع الفوائد، لأبن القيم تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٥هـ.
٨. تاريخ دمشق، لأبن عساكر، تحقيق: عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
٩. التبيان في اقسام القرآن، لأبن القيم (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: عصام فارس الحرساني، ومحمد الزغلي، ومؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٤هـ.
١٠. التحرير والتنوير، للطاهر أبن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، نشر الدار التونسية، ١٩٨٤م.
١١. تفسير التستري، لسهل بن عبد الله التستري، تحقيق: محمد باسل عيون السدد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ.
١٢. تفسير عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: محمود محمد عبدة، دار الكتب العلمية، بيروت،

ط ١٤١٩ هـ.

١٣. تفسير القرآن العظيم، لأبن كثير، (ت: ٧٧٤ هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم البناء، دار أبن حزم، ط ١٤١٩ هـ.

١٤. التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ.

١٥. تفسير مقاتل، لمقاتل بن سليمان البلمني (ت: ١٥٠ هـ)، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢٠٠٣ م.

١٦. التكميل في اصول التأويل، ضمن: رسائل الأمام الفراهي، لعبد الرحمن الفراهي، الدائرة الحميدية أعظم كره، الهند، ط ٢، ١٤١١ هـ.

١٧. تنبيه الرجل العاقل على تموية الجدل الباطل، لأبن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ)، تحقيق: علي محمد العمران، ومحمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٥ هـ.

١٨. التيسير في قواعد علم التفسير، للكافيحي، تحقيق: ناصر بن محمد المطرودي، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤١٠ هـ.

١٩. جامع البيان عن تأويل القرآن، لأبن جرير الطبري، (ت: ٣١٠ هـ) مصطفى السقا وآخرون، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ، (مصورة عن طبعة مكتبة البابي الحلبي عام ١٣٧٣ هـ، وطبعة دار هجر، القاهرة، ط ١، ١٤٢٢ هـ، تحقيق: عبد المحسن التركي).

٢٠. جامع الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار احياء التراث العربي.

٢١. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (ت: ٦٧١ هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧ هـ.

٢٢. جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام، لأبن القيم (ت: ٧٥١ هـ)، تحقيق: زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٥ هـ.

٢٣. حقائق التفسير (تفسير السلمي)، لأبن عبد الرحمن السلمي (ت: ٤١٢ هـ)، تحقيق: سيد عمران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ.

٢٤. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي (ت: ٩١١ هـ)، تحقيق: نجدت نجيب، دار احياء



التراث العربي، ط ١، ١٤٢١ هـ.

٢٥. الرسالة للشافعي (ت: ٤، ٢ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، المكتبة العلمية، بيروت.

٢٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي، تحقيق: محمد الأمد، وعمر عبد السلام، احياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ.

٢٧. زاد المعاد، لأبن القيم (ت: ٧٥١ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، ط ٣، ١٤١٩ هـ.

٢٨. سر الاستغفار، للقاسمي، ضمن، مجموع: لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام، رسالة رقم (٨)، دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٤٢١ هـ.

٢٩. سنن النسائي الكبرى، للنسائي، تحقيق: عبد الغفار البنداري، وسيد كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١ هـ.

٣٠. سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٧ هـ.

٣١. صحيح البخاري، لأبن عبد الله إسماعيل بن إبراهيم، مطبوع مع شرحه فتح الباري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية، القاهرة، ط ٣، ٧، ١٤ هـ.

٣٢. صحيح مسلم، لأبي الحجاج مسلم بن الحجاج، مطبوع مع شرحه للنووي دار الخير، بيروت، ط ١، ١٤١٦ هـ.

٣٣. الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله لأبن القيم، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط ٣، ١٤١٨ هـ.

٣٤. طريق المهجرتين وباب السعادتين لأبن القيم، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار أبن القيم، الدمام، ط ٢، ١٤١٤ هـ.

٣٥. العين، للخليل بن أحمد، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٤ هـ.

٣٦. غرائب التفسير وعجائب التأويل، للكرماني (ت: ٥٠٥ هـ)، تحقيق: شمران سر كمال العجلي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ط ١، ٨، ١٤ هـ.

٣٧. فتح الباري لشرح صحيح الإمام البخاري، لأبن حجر (ت: ٨٥٢ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد

- الباقي، المكتبة السلفية القاهرة، ط ٣، ٧، ١٤ هـ.
٣٨. الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير القاضي البيضاوي، للمناوي، تحقيق: احمد مجتبى بن نذير، دار العصمة، الرياض، ط ١، ٩، ١٤ هـ.
٣٩. القاموس المحيط، للفيروز ابادي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ.
٤٠. قانون التأويل، لأبن العربي (ت: ٥٤٣ هـ)، تحقيق: محمد السلياني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٩٩ م.
٤١. كتاب الفرائض وشرح آيات الوصية، للسهيلى (ت: ٥٨١ هـ)، تحقيق: د. محمد ابراهيم البناء، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ط ٢، ٥، ١٤ هـ.
٤٢. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٩٤١ م.
٤٣. الكشف والبيان، للثعلبي، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
٤٤. مجموع الفتاوي، لأبن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ١٤١٨ هـ.
٤٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبن عطية (ت: ٥٦٤ هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
٤٦. مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين، لأبن القيم، تحقيق: عبد العزيز ناصر الجليل، دار طيبة، الرياض، ط ٣، ١٤٢٣ هـ.
٤٧. مسند أبن راهوية، تحقيق: عبد الغفور عبد الحق البلوشي، مكتبة الايمان، المدينة المنورة، ط ١، ١٤١٢ هـ.
٤٨. مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة، دار المعارف القاهرة، ط ١.
٤٩. المصنف لأبن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ٩، ١٤ هـ.
٥٠. معالم التنزيل، لمحي السنة البغوي (ت: ٥١٦ هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وزميلاه، دار طيبة الرياض، ط ٤، ١٤١٧ هـ.



٥١. معالم الاستنباط في علم التفسير، نايف بن سعد الزهراني، ط ١، ١٤٣ هـ.
٥٢. معاني القرآن واعرابه، للزجاج أبي إسحاق ابن السري (ت: ٣١١ هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده الشلبي، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ٨، ١٤ هـ.
٥٣. معجم المفسرين من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، ط ٣، ٩، ١٤ هـ.
٥٤. معجم الطبراني الاوسط، تحقيق: طارق عوض الله محمد، وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥ هـ.
٥٥. مفتاح دار السعادة، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٣ هـ.
٥٦. مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط، مساعد بن سليمان الطيار.
٥٧. مقدمات تفسير الاصفهاني (ت: ٧٤٩ هـ)، دراسة وتحقيق، ابراهيم بن سليمان الهويميل، بحث أكاديمي، ١٤٢ هـ.
٥٨. الموافقات للشاطبي (ت: ٧٩ هـ)، تحقيق: مشهور حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الخبر، ط ١، ١٤١٧ هـ.
٥٩. نكت القرآن الدالة على البيان في انواع العلوم والاحكام، لمحمد بن علي القصاب (ت: ٣٦ هـ)، تحقيق: علي بن غازي الثويجري وآخرون، دار ابن القيم، الدمام، ط ١، ١٤٢٤ هـ.
٦٠. الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب لابن القيم تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة ط ١، ١٤٢٥ هـ.
٦١. الوافي بالوفيات، للصفدي، نشد فرانس اشتايز، فيسبادن، ١٣٩٤ هـ.